

التأثير بالقول في نماذج من الأحاديث النبوية: مقاربة تداولية

Perlocutionary Act in a Number of Models in The Prophet's Sayings: A pragmatic approach

إعداد/ هند إبراهيم صالح السعوي: ماجستير في اللغة العربية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.

Prepared by/ Hind Ibrahim Saleh Al-Saawi: MA in Arabic Language,
Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia

المخلص:

تعد التداولية من مناهج الدراسات اللغوية؛ لأنها تهتم بتحليل الكلام، وتصف استعمال الأقوال اللغوية، والبحث يصف استعمال الأقوال في الحديث النبوي، من خلال استقراء ما يحدث للمخاطب في الحديث النبوي الشريف، وبيان اختلاف التلقي، وبيان التأثير الحاصل عند عملية التواصل من الوجهة التداولية ضمن سياق معين. ويهدف إلى معالجة الملفوظات من خلال تحليل بنية الكلام الملفوظ، ومن خلال الفهم الذي يترجمه رد فعل المخاطب يتبين التأثير بالقول. ومن النتائج التي توصل إليها البحث: أن التأثير بالقول الناتج عن الحوار، والمركب من أصوات يعين على تحديث ثري للتوقعات إن كان الموقف حاضرًا، أو على استرجاع دائم بالنسبة لتأثير ما يقال إن كان الحوار مشتركًا في الماضي. وأن القالب الاجتماعيّ أساس كل عملية لغوية؛ لأنه يستخدم القالب اللغوي للتواصل، والتواصل يكون لغويًا تمثله اللغة الطبيعية عن طريق الألفاظ، وغير لغوي تمثله الإشارات والحركات الجسمية.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، الأحاديث الشريفة، علوم الحديث

Abstract:

The paper describes its use in the sayings of the Messenger, may God bless him and grant him peace, by extrapolating what happens to the recipient. And the statement of the difference in reception, and the impact that occurs when communicating from the deliberative point of view within a specific context. The research reached lots of results like: perlocutionary act resulting from the dialogue, and the compound of the voices helps a rich update of expectations if the situation is present, or a permanent recall in relation to the effect of what is said if the dialogue was shared in the past. And the social form is the basis of every linguistic process; Because it uses the linguistic form to communicate, and communication is linguistically represented by natural language through words, and non-linguistic represented by physical signs and movements.

Keywords: Biography of Prophet, hadiths, hadith sciences

المقدمة:

تواكب الدراسات العربية واللغوية الحضارة كأي علم من العلوم، فتتوالى فيها الدراسات، ولا ينفك العلماء والباحثون في مواكبة العصر، وكانت التداولية من أحدث مناهج الدراسات اللغوية؛ لأنها تصف استعمال اللغة، من خلال الأعمال اللغوية، فيروم البحث وصف استعمال الأقوال في الحديث النبوي، من خلال التأثير الحاصل عند عملية التواصل ضمن السياق، والتركيز على المخاطب، والتأثير الواقع عليه الذي يظهر في ردود فعله في محاولة للتمييز بين القبول المقصود والرفض عند استقبال قول المتكلم.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

الإشكالية الأولى -ويمكن أن تكون القضية الكبرى- هي: ما مدى توافق المخاطبين الأول، في فهم الحديث النبوي حال تلقيهم الحديث الشريف؟ وما أثر التأثير بالقول في فهم المخاطب حينما أكتسبه رد فعل معين؟ وما أسباب هذا الاختلاف والتفاوت في الفهم؟ وهل يمكن تطبيق الدراسات الحديثة على التراث من خلال مستوياته؟

أهمية البحث:

من خلال قضايا البحث يمكن أن تظهر أهمية الموضوع التي تتلخص في الآتي:

1. قراءة التراث العربي من خلال الوجهة والدراسات الحديثة.
2. دراسة مسار الأفعال الكلامية من خلال وصل الدراسات السابقة بدراسة الفعل الكلامي الثالث (الفعل التأثيري).

أسباب اختيار الموضوع:

الفضل لا يرجع إلى الباحث في اختيار موضوع البحث، بل إلى الله ذي الفضل العظيم، وكان السبب الرئيس -بعد الله تعالى- هو: قلة الدراسات في التداولية ووقوفها عند المتكلم دون المخاطب -بالرغم أنه المشارك في الموقف اللغوي- وربما كان السبب في حث المتكلم على الانتاج.

أهداف البحث:

- استقراء ما يحدث للمخاطب في الحديث النبوي الشريف، وبيان اختلاف التلقي بين المخاطبين.
- تحليل ماورد عن المخاطب في النظريات الحديثة من خلال التركيز على التأثير بالقول في القبول أو الرفض من الوجهة التداولية لفهم الحديث النبوي.

- بيان أهمية الفعل التأثيري، وعلاقته بالأفعال الكلامية الأخرى.
- إعطاء الصحيح من الحديث الشريف حقه من الدراسة والاهتمام.
- الإسهام في الدراسة العلمية في صحيح الحديث النبوي، وإثراء المكتبة العربية.

الدراسات السابقة:

عند الوقوف على دراسات سابقة التي لها نفس الاتجاه تظهر دراسات لغوية كثيرة، ومنها:

أولاً: من الدراسات اللغوية الحديثة التي اهتمت بالمخاطب:

- 1- دور المتلقي في نظرية النحو العربي كتاب سيبويه نموذجاً - رسالة ماجستير من إعداد/ أمينة عبد الكريم ابو جودة، إشراف/ أ.د. عيسى برهومة -2005م. الجامعة الهاشمية.
- 2- علاقة التداولية باللسانيات التعليمية دراسة تطبيقية لمادة اللغة العربية -السنة الرابعة نموذجاً- للباحثين: حيزية بوكراة وفتيحة بوقوبة، إشراف الأستاذ: زيان محمد -2013-2014م. جامعة بجاية.

وهذه الدراسات تختلف مع هذا البحث في المدونة والمنهجية.

ثانياً: الدراسات في صحيح الحديث كثيرة؛ ولم أجد -فيما بحثت- ما يُفرد المخاطب فيه، ومنها:

- 1- الأفعال الكلامية في الأحاديث النبوية دراسة تداولية-للباحثة حليلة بو عبيد إشراف الدكتور صالح بو ترعة- رسالة ماجستير-1435هـ/2014م- جامعة العربي بن مهيدي أبو البواقي- الجزائر.
- 2- لغة الإشارة في صحيح مسلم، للباحثة: حنان عبد الله المصلح، إشراف: عبد الحميد الأقطش، جامعة أم القرى، 1436-1437هـ/2015-2016م.

وهذه الدراسات -وغيرها كثير- لا تناقش المخاطب، رغم الاتفاق -تقريباً- في المدونة المطروحة للدراسة، ولكن دراستها تركز على المتكلم كما هو الحال عند "أوستين" و"سيرل"، ومن نهج نهجها.

منهج البحث وإجراءاته:

تعتمد الدراسة بعد الاستقراء على المنهج الوصفي ليكون أساساً عند تحليل عناصر التأثير بالقول، وبطبيعة الحال سيتخلله المنهج التحليلي كونه رافداً للدراسة، ومن الأهمية بمكان معرفة شخصية المتلقي، وحالته الاجتماعية، وعلاقته بالمتكلم وبيئته، لذا فإن المنهج الاجتماعي النفسي له لمحته في الدراسة.

ويكتفي البحث في معظمه بلفظ صحيح مسلم في بيان الشواهد والأمثلة؛ وذلك مراعاة لحدود البحث، بعد ذلك المعنى العام للحديث الشريف، ومن ثم بعض المعاني العربية واللغوية من خلال أقوال العلماء فيه، وتحليل الحديث من الوجهة التداولية بعد ذلك من خلال بيان وتحديد الشاهد، وبهذا يظهر المجال التداولي الذي يحققه، والله ولي التوفيق.

هيكل البحث:

- مدخل مفاهيمي
- المبحث الأول: التأثير بالقول في القبول المباشر وغير المباشر " في فهم الحديث النبوي.
- المبحث الثالث: التأثير بالقول في الرفض المباشر عند فهم الحديث النبوي.
- الخاتمة.
- المصادر والمراجع.

مدخل مفاهيمي في التداولية: التداولية لغة واصطلاحاً:

التداولية لغة:

تأتي التداولية من الجذر (د و ل)، ويُذكر في الصحاح للجوهري: "الدَّوْلَةُ في الحرب: أن تُدَالَ إحدى الفئتين على الأخرى. وكانت لنا عليهم الدَّوْلَةُ. والجمع الدُّوْلُ. والدَّوْلَةُ بالضم، في المال. يقال: صار الفَيْءُ دَوْلَةً بينهم يَتَدَاوَلُونَهُ، يكون مرّةً لهذا ومرّةً لهذا، والجمع دُولَاتٌ ودُّوْلٌ. وقال أبو عبيد: الدَّوْلَةُ بالضم: اسمُ الشيء الذي يُتَدَاوَلُ به بعينه. والدَّوْلَةُ بالفتح: الفعل. وأدالنا الله من عدونا من الدَّوْلَةِ. والإدالة: الغلبة. يقال: اللهم أدلني على فلان وانصرني عليه. ودالت الأيَّامُ، أي دارت. والله يُدَاوِلُها بين الناس. وتَدَاوَلَتُ الأيدي، أي أخذتُ هذه مرّةً وهذه مرّةً. وقولهم: دَوَالِيكَ، أي تَدَاوُلٌ بعد تَدَاوُلٍ"⁽¹⁾.

ويذكر الفيروز آبادي في القاموس المحيط: "الدَّوْلَةُ: انْقِلَابُ الزَّمانِ والعُقْبَةُ في المالِ ويُضَمُّ أو الضمُّ: فيه والفتحُ: في الحربِ أو هما سواءٌ أو الضمُّ: في الآخرةِ والفتحُ: في الدنيا ج: دُولٌ مُثَلَّثٌ.. وقد تَدَخَّلَهُ أَلٌ فَيُجْعَلُ اسماً مع الكافِ يقالُ: الدَّوَالِيكَ وَأَنْ يَتَحَفَّرَ في مَشِيَّتِهِ إذا جال"⁽²⁾.

(1) الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح في اللغة، موقع الوراق، من كتب المكتبة الشاملة. (218/1).
(2) الفيروز آبادي: مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة محمد نعيم العرقسوسي، طبعة 2005/1426م. فصل الدال، (1000/1)، من كتب المكتبة الشاملة.

التداولية اصطلاحاً:

تتعدد التعريفات التي ساقها اللغويون الغربيون لتحديد مصطلح التداولية، وأقدم تعريف لها قاله شارل موريس عام (1938) في كتابه «أسس نظرية العلامات»، إذ يعرفها بقوله: «التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومُستعملي هذه العلامات»⁽¹⁾.

• أما آن ماري ديير وفرانسوا ريكانتي عرفاها بقولهما: «التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب».

• وجاء تعريف في كتاب "جاك موشر وأن ريبول" ربما كان أجودها وأشملها. وهو أن التداولية "دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني"⁽²⁾.

يشارك العرب الغربيين في تعريف التداولية اصطلاحياً، ومن تلك التعريفات:

• تعريف صلاح فضل بأنها "الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية، وخصائصها خلال إجراءات التواصل، بشكل عام"⁽³⁾.

• ويعرفها مسعود صحراوي بأنها: "إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي"⁽⁴⁾.

وفي التراث العربي ذكر ابن جني أن (الاستعمال) أحد المبادئ الأساسية الحاكمة على اللغة حيث يرى أن " الشيء إذا اطرّد في الاستعمال وشذ عن القياس فلا بد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه"⁽⁵⁾.

المبحث الأول: التأثير بالقول في القبول المباشر وغير المباشر في فهم الحديث النبوي.

لا جرم أنّ التعامل مع ما نطق به النبي عليه الصلاة والسلام يعدّ من أهم الخطابات التي ظلت ولا تزال تحمل في عمقها أسراراً معرفية متعددة الجوانب والجهات، سواء تعلق الأمر بالإطار

(1) بوقرة: نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006م، ص166.

(2) جاك موشر وأن: القاموس الموسوعي للتداولية، سبق ذكره، ص21.

(3) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992م، ص23.

(4) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة بيروت، ط1، 2005م، ص 16-17.

(5) ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1989م، ج1، ص100.

الديني أو العقائدي النفسي أو الاجتماعي أو اللغوي وغيرها، الأمر الذي أدى من واقع الحديث النبوي تحذره الشمولية الاستغراقية من كل مكان، تصورا ومفهوما ومنهجيا وإجراء ومقصدا.

إنّ الحديث النبوي من جهة ما يحمله من وظائف شتى جعلته يحتل مكانة مرموقة في الدراسات اللغوية قاطبة، وفي مجال تحليل الخطاب على وجه أخص، هذه الميزة أدت بأن يُنظر إلى الحديث النبوي على أنّه خطاب تداولي يعطي للمتكلم حقّه، وللمتلقي المستمع حقّه، من حيث أنّ كل واحد لا يستطيع الاستغناء عن الطرف الآخر من جهة ما يستوجب لفظ الحديث من شرط التواصل والإبلاغ.

غير أنّ هذا الشرط الأساسي من جهة التصور التداولي في شأن واقع الحديث النبوي له عدة حقائق معرفية ومنهجية لربّما يصعب تناولها والتوقف عندها بشكل مفصل، وهذا ما لا يتماشى مع محدودية ما رُسم في عنوان إشكالية البحث، وعليه اقتضى مقام البحث أن يُعيد الحديث النبوي بفعل القول، وما يُنجز من تأثيرات متعددة الجوانب التي استطاعت أن تخلفها في واقع من خاطبه النبي عليه الصلاة والسلام من الصحابة عليهم الرضوان أو غيرهم. من هذا المنطلق يأتي الاعتقاد بأنّ أهم خصوصية يركز عليها الحديث النبوي من جهة ما يؤديه من معنى ووظيفة هو طرح التساؤل المفاهيمي المصاحب للحديث النبوي والقائم على:

- ما الميزة التي يمتاز بها الحديث النبوي من حيث شرط التلقي؟
 - ما علاقة السمع والاستماع بما نطق به النبي عليه الصلاة والسلام من خلال الحديث؟
 - هل هناك علاقة تربط بين السمع والإنصات؟ أم أنّ كل واحد منهما ينفرد عن الآخر بخصوصية التحديد والوظيفة؟ وما علاقة هذا النوع من الفرق بواقع الحديث الشريف؟
 - ما مدة انعكاس شرطي السمع والإنصات من جهة فعل التأثير فيما ورد في الحديث النبوي؟
- المطلب الأول: التأثير بالقول في القبول "غير المباشر" وفق الأداء السلوكي دون حركة متمثلا في النقل على المدى البعيد من خلال الإنصات والاستماع.**

الاستماع:

مفهوم الاستماع في معاجم اللغة:

تشير المعاجم اللغوية إلى أن السَّمْع هو استقبال الأذن للأصوات، فهو حسن الأذن، ومنه قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]

وقوله سبحانه: { أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ }، اسْتَمَعَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَمَعَ مَا يُقَالُ لَهُ، لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِغَيْرِهِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: أَلْقَى إِلَيَّ سَمْعَكَ، أَيِ اسْتَمَعَ، { وَهُوَ شَهِيدٌ }، أَيِ حَاضِرُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِغَافِلٍ وَلَا سَاهٍ. (1)

وجاء في لسان العرب: (سمع) السَّمْعُ حِسُّ الْأُذُنِ، وفي التنزيل أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهو شهيد، وقال ثعلب: معناه خَلا له فلم يشتغل بغيره والسَّمْعُ المصدر والسميع الاسم، والسَّمْعُ أيضاً الأذن والجمع أَسْمَاعٌ.

وفي قوله تعالى: ﴿...وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمَعٍ...﴾ [النساء: 46] دعاء على من لا يسمع هكذا فسره ثعلب فقال: اسْمَعَ لا سَمِعْتَ بمعنى أنه دعى عليه وكأنه أراد الدعوة عليه أن لا يفهم ما يسمع.

مثال حديث الاستماع (سمعت، سمع):

وَحَدَّثَنِي ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ قَالَ سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ بْنَ خَالِدٍ يُحَدِّثُ طَاوُسًا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَلَا تَغْزُو فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ». (2)

- [المعنى العام للحديث الشريف]-

كل أمرٍ عظيم لا بد له من أساس متين، وهكذا صار مع الدين الإسلامي العظيم الذي ارتكز على خمس أسس متينة، لو سقط واحد منها سقط كله -نسأل الله السلامة-، ويبيّن الحديث الشريف عظم أمر الإسلام الذي احتاج لخمس أسس لتدعمه فلا ينهار، وهي على الترتيب: الأول: الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)، والثاني: إقام الصلاة، والثالث: إيتاء الزكاة، والرابع: صوم رمضان، والخامس: حج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، وبهذا يمكن أن يتجاوز الله عن الركن الخامس ليس لأنه طرف وغير مهم بل لأنه شاق على الكبير والمرأة، وربما كان شاق على البعيد عن البيت الحرام المنقطع.

والترتيب مهم لأن الرجل قال: الحج والصيام، فقال ابن عمر: لا، صيام رمضان، والحج. هكذا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهنا يتضح أن الترتيب مهم في هذه الأسس.

(1) محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)

حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، انظر: لسان العرب ج163/8، المحكم والمحيط الأعظم.

(2) صحيح مسلم: باب قول النبي ﷺ "بني الإسلام على خمس" - ج1/32.

وفي هذا الحديث يصرّح ابن عمر -رضي الله عنه- أنه استمع إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويؤكد أنه سمع وقيل ما سُمع، والدليل تطبيقه لما سمع، وما وصل إلى أذنه.

-[من المباحث العربية واللغوية]-

أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه-: أَلَا تَغْزُو فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ».

-قوله: (ألا تغزو) تأتي (ألا) للتحضيض أو العرض، وقد "جاء في (تفسير الرازي): في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقُولُونَ قَوْمًا نَكُنُوا أَيَّمُنَهُمْ﴾ [التوبة: 13]، حكى الواحدي عن أهل المعاني أنهم قالوا: إذا قلت: (ألا تفعل كذا) فإنما يستعمل ذلك في فعل مقدّر وجوده، وأن (لا) ينفي بها المستقبل، فإذا دخلت عليها الألف صار تحضيضا على فعل ما يستقبل، ويذكر الدكتور فاضل السامرائي أن لا ليست مقيدة بزمن على الأرجح.⁽¹⁾

- (سمعت) في هذا شاهد على الاستماع الذي ينبئ عن الفهم الذي ترجمه الفعل بالتطبيق.

- «إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ»

(خمس) عدد والعدد كالضمير يحتاج إلى متعلق، وقد تعلق بالفعل (بني)، ويجوز أن يكون (خمس) كما أتى في بعض الروايات؛ وذلك أن المعدود تعدد بين مذكر ومؤنث، فمن باب أولى بقاءه على الأصل.

-«شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ»

هذا الترتيب ينبئ عن الأول فالأول في التشريع، والله اعلم.

الشاهد:

إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-.

(1) يُنظر: السامرائي: فاضل صالح، معاني النحو، عمان، دار الفكر، الطبعة الخامسة الشرعية، 1432هـ/2011م، (180/4).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:
(نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ قُرْبَ مُبْلَغِ أَحْفَظَ لَهُ مِنْ سَامِعٍ)⁽¹⁾، المقصود بقوله
عليه الصلاة والسلام: (أحفظ) أي أفهم وأفقه، ممن سمعه ونقله، والله أعلم.

وفي حديث ابن عمر -رضي الله عنه- -الأنف الذكر أنه سمع حديث الرسول -ﷺ- وحفظه وفهمه؛
لأنه جعله دستور حياته، فيهتم بتقوية دينه من خلال تطبيق فرض العين وتقديمه على غيره من باقي
الفروض، دون إفراط أو تفريط، متمثلاً بمنهج الأمة الوسط "في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]؛ أي: خياراً عُدُولاً، وَيَدُلُّ لِأَنَّ الْوَسْطَ الْخَيْرُ الْعُدُولُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ
أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، وَذَلِكَ مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَمِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ:

هُمُ وَسْطٌ يَرْضَى الْأَنَامُ لِحُكْمِهِمْ *** إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمٍ⁽²⁾

ويُعد الحديث الذي يظهر فيه قول (سمعت) من المسلسل من الأسانيد في علوم الحديث،
وإنه نوع من السماع الظاهر الذي لا غبار عليه، وهذا النوع الأول من المسلسل، فيعتبر أقوى من
سابقه الذي يبدأ يتسلسل بقول (عن)، وقال الحاكم: تكثر شواهد هذا النوع في الحديث النبوي، باعتباره
علامة السماع والأخذ بين الرواة ظاهراً، فقد يكون الحديث بلفظ السماع إلى أن يسند للنبي صلى الله
عليه وسلم، كذلك الحديث الذي وصل مسلسلاً عن ابن عمر رضي الله عنهما إلى النبي صلى الله
عليه وسلم.⁽³⁾

**المطلب الثاني: التأثير بالقول في القبول "غير المباشر" (الأداء السلوكي متمثلاً في
الاستراتيجيات الحركية).**

كان الجاحظ أول من ذكر الإشارة من علماء اللغة، ذكر أن "الإشارة واللفظ شريكان، ونعم
العون هي له ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تتوب عن اللفظ وما تغني عن الخط.

وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلاف في طبقاتها
ودلالاتها، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعوقة حاضرة في أمور
يسرها الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى

(1) مسند أحمد بن حنبل (221/7)

(2) الشنقيطي: محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ/1983م. (149/1).

(3) يُنظر: معرفة علوم الحديث، سبق ذكره، ص72.

خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة، ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم⁽¹⁾.

وقد قال الشاعر⁽²⁾ في دلالة الإشارة بالعين:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها *** من المحبة أو بغض إذا كانا⁽³⁾

والعين تنطق والأفواه صامتة *** حتى ترى من ضمير القلب تبياناً⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ [القلم: 51]

ذكر الجاحظ أن مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت كما يشير فس قوله: "فهذا أيضا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت؛ لأن الصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً الا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتقتل والتثني واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور"⁽⁵⁾.

مما تقدم يُلاحظ أن العرب تهمهم نظرات العيون، وقسمات الوجه، وكأنهم يقرأون الحديث مسبقاً من قبل وجه المتكلم، بل ويؤثر ذلك فيهم، فيرحبوا بمن جاء مسالماً، ويتحدون من أتى بغير ذلك.

الحديث الشريف:

6883- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: بَيْنَمَا أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- خَارِجَيْنِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِينَا رَجُلًا عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟».

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل 1410 هـ - 1990 م، (1/ 78).

(2) هو إسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب الخريمي (212 هـ): شاعر مطبوع، وصفه أبو حاتم السجستاني بأشعر المولدين. خراساني الأصل من أبناء السغد. ولد في الجزيرة الفراتية، وسكن بغداد. وأدركه الجاحظ وسمع منه. وعمي قبل وفاته. وهو صاحب (الرائية) في وصف الفتنة بين الامين والمأمون، يقول فيها: يا بؤس بغداد دار مملكة ... دارت على أهلها دوائرها.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، سبق ذكره.

(4) السري بن أحمد الرفاء (362)، المحب والمحبيب والمشموم والمشروب، تحقيق مصباح غلاونجي. (1/ 121).

(5) الجاحظ، البيان والتبيين، سبق ذكره، (1/ 78).

قَالَ: فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أُحْبِبْتُ». (1)

-[المعنى العام للحديث]-

(فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ)؛ أي: سكن تنذلاً. (2)

قوله استكان: من السكون، والسكون هنا يدل على القبول، وشرحه العسقلاني بقوله: (فَكَأَنَّ الرجل استكان) افتعل من السكون فتكون ألفه خارجة عن القياس، وقيل إنه استفعل من الكون أي انتقل من كون إلى كون كما قالوا استحال إذا انتقل من حال إلى حال، وقوة المعنى تؤيد الأول إذ الاستكانة هي الخضوع والانقياد وهو يناسب السكون والخروج عن القياس يضعفه والقياس يؤيد الثاني وقوة المعنى تضعفه إذ ليس بنيهما أعني المشتق والمشتق منه مناسبة ظاهرة فيحتاج إثباتها إلى تكلف، وقيل هو مشتق من الكين وهو لحم باطن الفرج إذ هو في أذل المواضع أي صار مثله في الذل. (3)

وفي اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح: (استكان)؛ أي: خضع، وذلل، وهو افتعل من السكون، فالمدّ شاذٌّ، وقيل: استفعل من السكون، فالمد قياسي. (4)

كما جاء في البحر المحيط الشجاج في شرح صحيح مسلم من المباحث اللغوية قول أنس - (فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ)؛ أي: خَضَعَ، وهو من باب استفعل، من السكون الدالّ على الخضوع، وقال الداودي؛ أي: سكن، وقال الكرمانى: استكان افتعل، من السكون، فالمدّ شاذٌّ، وقيل: استفعل من الكون، فالمدّ قياسي، وقال الفيومي رحمه الله: اسْتَكَنَّ: إِذَا خَضَعَ، وَذَلَّ، وَتَزَادَ الْأَلْفُ، فَيُقَالُ: اسْتَكَانَ، قَالَ ابْنُ الْقَطَّاعِ: وَهُوَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، قِيلَ: مَأْخُوذٌ مِنَ السَّكُونِ، وَعَلَى هَذَا فَوزنه افتعل، وقيل: من الكينة، وهي الحالة السيئة، وعلى هذا فوزنه استفعل. (5)

(1) مسلم الشاملة ج 8 ص 42، باب المرء مع من أحب، ويُنظر: النووي، المنهاج، ج 16 ص 401.

(2) القرطبي: أبو العباس: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 391/9.

(3) القسطلاني: أبو العباس، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ (10/225).

(4) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح 94/17. تأليف الإمام شمس الدين البرماوي أبي عبد الله محمد بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي، (المولود في مصر سنة 763 هـ والمتوفى في القدس سنة 837 هـ) رحمه الله تعالى، تحقيق ودراسة لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب.

(5) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد. "المصباح المنير" 1/ 283 - 284.

وقال المرتضى رحمه الله: استكان الرجل: خَضَعَ، وَذَلَّ، ومنه حديث توبة كعب: "أما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما"؛ أي: خَضَعَا، وَذَلَّا، ووزنه افتعل، أُشْبِعَتْ حركة عَيْنِهِ، فجاءت أَلْفَا⁽¹⁾.

وفي الكوكب الوهاج في شرح صحيح مسلم (فكأنَّ الرجل استكان) أي سكن تذللًا أي خضع وتواضع من الاستكانة وهو الخضوع كما في القاموس أي استقل عمله الصالح⁽²⁾.

مما يظهر أن العلماء اتفقوا على أن استكان بمعنى سكن وتذلل، وتعنى الخضوع، ومن سياق الحديث يمكن أن يكون هذا الرأي موقَّعًا، والدليل إجابة الرجل التي تحكي قمة الاستجداء الذي هو طلب العون بل أشد الطلب، وقد تمثَّل في أسلوب النداء، وقد ذكر "بنفيس" أنه بمجرد أن يستعمل المتكلم اللغة للتأثير في سلوك المخاطب، فإنه يملك جهازاً من الوظائف، منها: الاستفهام: جميع الصيغ المعجمية والتركيبية التي يقوم عليها الاستفهام من أدوات وأسماء، وعبارات ونبر ... الخ. إنما هي تابعة لعملية التخاطب. وكذلك الشأن بالنسبة إلى الأساليب التي من قبيل الطلب والنداء، التي تقتضي علاقة مباشرة بين المتكلم والمخاطب، وإحالة ضرورية على زمان القول⁽³⁾.

وكان إعراض رسول الله ﷺ عن الجواب؛ لأن الله تعالى استأثر بعلم الساعة وحده سبحانه ذلك أولاً، والأمر الآخر أنه يريد عليه الصلاة والسلام صرف السائل لما هو أحق بالاهتمام، وهو الاستعداد لها وليس السؤال عن وقتها.

الشاهد:

• الحركات الجسدية في الحديث الشريف (استكان الرجل)، والحق أن الرجل كان خائفاً لوهلة بعد سماع موعظة من الرسول -ﷺ- في المسجد -كما ظهر ذلك في شروح الحديث- فأراد التجهُّز ليوم القيامة قبل حدوثه، ومن خوفه الظاهر في سياق الحديث أنه لاقى الرسول -ﷺ- عند أضيق منطقة من الباب كي يحظى بالعلم اليقين، فكان تأثير القول في المسجد ظاهراً على حركته، والسؤال عند السدَّة، عن المدة الممكنة للتجهُّز لهذا اليوم، لكنه.. فوجئ بالسؤال عن العدة؟ فاستكان، أي تذلل كما تقدم، وأجاب إجابة أغاث بها المسلمين حين رد عليه الصلاة والسلام بقوله: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

(1) محمد بن علي بن آدم بن موسى الأثيوبي الولوي، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ط1، 1426هـ، (41/ 273).

(2) محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهزري الشافعي: الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (24/ 502).

(3) محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ط1، 2001، تونس، (2/ 655).

المطلب الثالث: التأثير بالقول في القبول المباشر في فهم الحديث النبوي.

- نداء تعجب مع استفهام لتحقيق التعجب.

الحديث الشريف:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من الكبائر شتم الرجل والديه" قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: "نعم. يسب أبا الرجل، فيسب أباه. ويسب أمه، فيسب أمه".⁽¹⁾

-[المعنى العام للحديث]-

إعظاما لحق الأبوين، وتقديرا لهما، وصيانة لمقامهما، حذر الرسول -ﷺ- من إيذاءهما بأي نوع من أنواع الإيذاء، قل أو كثر، قصد أو لم يقصد، بأب أو تسبب فيه. (قوله: إِنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ شَتَمَ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ)⁽²⁾ يعني: من أكبر الكبائر؛ لأنَّ شتم المسلم الذي ليس بأبٍ كبيرة، فشتم الآباء أكبر منه.⁽³⁾

-[من المباحث العربية واللغوية]-

- (من الكبائر) في رواية البخاري جاءت مؤكدة هذه الكبائر؛ "إن من أكبر الكبائر".

- (شتم الرجل والديه) التعبير بالرجل جرى على الغالب، فالحكم كذلك بالنسبة للمرأة، والتعبير بالوالدين من قبيل الشأن والكبير غالبا؛ فالحكم شامل لمن يؤدي فعله إلى شتم أحد الوالدين فقط. وقد جاء في رواية البخاري "أن يلعن الرجل والديه" والمراد من اللعن فيها الشتم، وفي رواية أخرى "من الكبائر عند الله أن يسب الرجل والده"⁽⁴⁾ والعياذ بالله.

(1) صحيح مسلم، باب بيان الكبائر وأكبرها، (92/1)

(2) موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم (297/1)

(3) القرطبي: الشيخ الفقيه الإمام، العالم العامل المحدث الحافظ بقيّة السلف، أبو العباس: أحمد بن الشيخ المرحوم الفقيه أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ، الأنصاري القرطبي، رحمه الله وغفر له. "المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم".

(4) لاشين: موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 2002م. (297/1).

- (قالوا: يا رسول الله): القائل واحد: ونسب القول للمجموع لرضاهم به وموافقتهم عليه، فأحدهم قائل فعلا، والآخر قائلون حكما، وفي رواية البخاري "قيل: يا رسول الله" بالبناء للمجهول⁽¹⁾.
- (وهل يشتم الرجل والديه؟) "يشتم" -بكسر التاء- والاستفهام استبعادي، والمعنى: نستبعد أن يشتم الرجل والديه، وفي رواية البخاري "وكيف يلعن الرجل والديه" ففيها استبعاد وتعجب وسؤال عن كيفية وقوع هذا الأمر العجيب⁽²⁾.
- (يسب أبا الرجل) في هذه الرواية إضمار الفاعل، وفي رواية البخاري بإظهاره، ولفظها "يسب الرجل أبا الرجل" والاستفهام عن الشتم والجواب بالسب والمراد منهما واحد هنا.
- (ويسب أمه فيسب أمه) ظاهر هذه الرواية أن سب الأب يؤدي إلى سب الأب، وسب الأم يؤدي إلى سب الأم، وهو واضح وكثير، ورواية البخاري "يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه" وظاهرها أن سب الأب يؤدي إلى سب الأب والأم زيادة من المسبوب، ويقع ذلك في الغالب.

الشاهد:

في قولهم: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟!

أراد الرسول -ﷺ- تعليم أمته كُبر من يتسبب في شتم والديه فكيف بمن يفعل أشد وأمرّ.

ويمكن القول بأن استعمال الاستفهام في غير معناه الحقيقي، إلى معانٍ أخرى لا سبيل لحصره، ولكن لابد من اعتماد ما يتجاوزها من أحوال وظروف، كما أن السياق له أثره في تحوّل المعنى الحقيقي للأسلوب اللغوي إلى معانٍ أخرى.

وفي هذا الشاهد يظهر: النداء (يا رسول الله) وغرض (النداء) طلب الإجابة، بل سرعة الإجابة، والذي يقوّي النداء إلحاقه بالاستفهام الذي ظهر لغزابة الأمر والتعجب منه فكان الغرض المقصود: (التعجب).

وكان الاستفهام مجتمعا مع النداء في هذا الحديث، وغرضهما التعجب.

فكان هذا التركيب المعين: نداء + نبرة صوت + استفهام = تعجب.

(1) يُنظر: لاشين: موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، سبق ذكره، (297/1).
(2) يُنظر: الدكتور موسى لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، سبق ذكره. وكذلك: ابن حجر، فتح الباري (94/17).

نداء مع استفهام تعجبي.

الحديث الشريف :

حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُرْوَةَ عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِاللَّهِ الْعَرَبُ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ». وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشْرَةَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّهُلِكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كُنْتُ الْخَبْثُ»⁽¹⁾.

-[المعنى العام للحديث الشريف]-

قوله: (ويل للعرب من شر قد اقترب) المراد بالشر الفتنة التي تعم العرب كلها، وتكون سبباً لذهاب شوكتهم وريحهم، ولذلك خص العرب بالذكر، وقد بدأت هذه الفتنة بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم طغت في زمن علي رضي الله عنه، ثم توالى عليها الخمود والاشتعال حتى بلغت ذروتها في أواخر عهد الأمويين، ولم ينته سفك دماء العرب، ولم تستقر الأوضاع إلا وقد خرج الأمر من أيدي العرب إلى غيرهم، وعاد العرب إلى ما كانوا عليه تقريباً من التشتت والجهل والإفلاس وغير ذلك.⁽²⁾

وقد انتج رسول الله - ﷺ - هذا الكلام لهدف في نفسه، والهدف له دوره في التأثير على المخاطب، من حيث أدوات وآليات لغوية مناسبة تكفل تحقيق الهدف⁽³⁾.

(1) صحيح مسلم: باب اقتراب الفتن (165/8).

(2) النيسابوري: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رحمه الله (206 - 261 هـ)، منة المنعم في شرح صحيح مسلم، شرح فضيلة الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري حفظه الله، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م (340/4).

وهذا هو الشر الذي أخبر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن اقترابه، وعبر عنه بفتح القليل من ردم يأجوج ومأجوج، والردم: والمراد به السد الذي بناه ذو القرنين، ويأجوج ومأجوج قبيلتان من قبائل ما وراء القوقاز (وعقد سفیان بيده عشرة). بياناً لمقدار فتح الردم، وعقد العشرة هو عقد رأس الإبهام على طرف السبابة. (إذا كثر الخبث) بفتح الخاء والباء، فسروه بالزنا وبأولاد الزنا، وبالفسوق والفجور، نسأل الله العافية.

(3) يوسف تعزوي، سبق ذكره، ص192.

و(قوله صلى الله عليه وسلم: «ويل للعرب من شر قد اقترب») هذا تنبيه على الاختلاف والفتن والهرج الواقع في العرب، وأول ذلك قتل عثمان - رضي الله عنه - ولذلك أخبر عنه بالقرب، ثم لم يزل كذلك إلى أن صارت العرب بين الأمم كالفصعة بين الأكلة.⁽¹⁾

وبعد سؤال زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ الذي جاء استفهام حقيقي غايته؛ أنى الهلاك وبيننا صالحون؟ فيأتي الجواب بالهلاك العام، ولكن يُبعث كل شخص بنيته ويحاسب على حالته.

-[من المباحث العربية واللغوية]-

(للعرب): مخصص؛ إنما خصّهم؛ لأن معظم مفسداتهم راجع إليهم. ولأنهم أول من دخل الإسلام، فإن وقعت الفتن فهم أسرع الناس للهلاك.

و(يأجوج ومأجوج): مهموزان وغير مهموزين قرئ في السبع بالوجهين وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح.⁽²⁾

(ردم): أي: سدّ، وردمت الثلثة، أي: سدّتها.⁽³⁾

(انهلك): بكسر اللام، وحكي فتحها، الاستفهام حقيقي و"تهلك" بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة، (أهلك وفينا الصالحون)، وفتحها ضعيف.

(الخبث): بالفتح المتتابع، فسره جمهور أهل اللغة بالفسوق والفجور، وقال بعضهم: هو الزنا خاصة، وقيل: بل أولاد الزنا، والظاهر أنه يحمل دلالة المعاصي كلها على نحو ما ذكر الجمهور.⁽⁴⁾

ومعنى الحديث -بإختصار- أن الخبث قد يهلك الجماعة إذا كثر وشاع بينهم، حتى وإن كان بينهم صالحون.

(1) القرطبي: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (578 - 656 هـ): المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، محيي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (ط1، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، 1996م).

(2) موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم (507/10).

(3) العسقلاني: شمس الدين البرزماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم (831)، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ط1، دمشق: دار النوادر، 2012 م.

(4) موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم (507/10).

يقرر هرفي ساكس مبدأ عاما للمحادثة " أن من شأن المرء ألا يخبر الناس بما يفترض أنهم يعلمونه"، وبشكل أدق يمكن أن يكون الكثير جدا من مادة المحادثة معروفة فعلا لكل المشاركين فيها⁽¹⁾

وعندما حدد "غرايس" المبدأ العام للمحاوره جعله (مبدأ التعاون)، ولم يقف عند هذا الحد، بل جعل منه تفريعات يلتزم المحاور إحداثها كي يستطيع الوصول على غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه.

الشاهد:

(أنهك وفينا الصالحون؟)

جاء الاستفهام بالهمزة وبعدها الفعل (نهك) وفي قولها -رضي الله عنها- فائدة الثقة بالقائل -عليه الصلاة والسلام- وشك في الفعل، والسبب (فينا الصالحون) وبالتالي نشك بالهلاك.

ونذكر محمد الشاوش في كتابه تحليل الخطاب مبحث "لا تقديم ولا تأخير مجانا"⁽²⁾، وعلى انقسام من يقول في تقديم الشيء وتأخيريه، وقد بين الجرجاني خطأ من لا يرى لها فائدة في ذلك حتى أنه مثل المسألة، وذكر أنها أظهر شيء في هذا الاستفهام بالهمزة، وذلك لأن أصل الكلام على أنك إذا بدأت بالفعل فقد أفعلت، وكان موطن الشك في الفعل نفسه، إذ يتضح غرضك من الاستفهام أن تعلم وجوده، وقد يكون الشك في الفاعل إذا بدأت بالاسم إذا قلت: أنت فعلت⁽³⁾.

المبحث الثاني: التأثير بالقول في الرفض المباشر عند فهم الحديث النبوي.

المطلب الأول: التأثير بالقول في الرفض المباشر عند فهم الحديث النبوي من خلال القول

تقدم في المبحث التمهيدي أن "غرايس" صاحب فكرة الاستلزام، وكان همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما يقصد، وهو ما يريد المتكلم إيصاله للسامع على نحو غير مباشر، ويعتمد في ذلك على قدرة السامع على فهم مراده بما يُتاح له من أعراف الاستعمال، ووسائل الاستدلال، وهنا يلتقي بالوظيفة التداولية التواصلية عند المتوكل. وتهيأ لـ"غرايس" أن يوازي بين ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله من معنى متضمن، فتكونت لديه فكرة الاستلزام، وتوصل إلى أن الاستلزام نوعين: عرفي: وهو ما عُرف عند أهل اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات لا تتفك عنها مهما كانت

(1) يُنظر: ريبورت دي بوجراند: النص والخطاب والاجراء، ترجمة/ تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1418هـ/1998م. ص493.

(2) نفسه، (489/1)

(3) الجرجاني: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، 2011، ص151.

مواقع تراكيبها، أو السياق الذي ترد فيه. والآخر حوارى وهو متغير دائماً حسب السياق الذي يرد فيه⁽¹⁾.

"ولتحقيق هدف المحاوراة الاتصالي العام لا بد أن تتوفر الكفايات المعرفية التواصلية، والتداولية التي تتخطى معرفة القواعد الصوتية، والصرفية، والدلالية، والتركيبية، إلى معرفة البنية العميقة للتداولية؛ لأنها تكفل الفهم في مختلف مقامات التواصل، لغوي وغير لغوي، وبورها تتباين بتباين المتواصلين"⁽²⁾.

وقد ميّزت "كاترين كيربرات- اوريكيوني" كفايات أربعة: اللسانية، والموسوعية، والمنطقية، البلاغية التداولية. ولأحظت أن الأساس في خلق موضوع واحد مشترك بين المتحاورين لإنجاز فعل التخاطب هو التفاعل بين الكفائتين: الموسوعية والمنطقية؛ على أن المخزون الذهني من مقتضيات الموسوعية في الخطاب، وهي من أنساق ومعتقدات القيم الناتجة عن الخبرات والتجارب وغيرها، واتحادها بمنظومة المعلومات الهائلة في عقل كل إنسان. بينما يمكن الاشتقاق المعنوي منطقياً وابتكار معان جديدة عن طريق الكم المخزون في الدماغ. المنطقية، وذلك يتضح من خلال دواعي الاستدلال وعملياته التي تحتكم لمبادئ المنطق⁽³⁾، وبالتالي يُلاحظ أن التفاعل مستمر ودائم بين هذين النمطين، ويعتمد في الأساس على آليات الكفاية البلاغية والتداولية التي تعتمد على مجموعة من المبادئ العامة كالقواعد والمسلمات والشروط، ولم يتوافق " غرايس " و "لايكوف" في تسميتها، ولكن تهدف إلى فهم اللغة الطبيعية من خلال استعمال العبارة اللغوية المناسبة بالنظر إلى السياق والمخاطب.

استلزام عرفى:

الحديث الشريف:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِعَمِّهِ: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ إِنَّمَا حَمَلُهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزْعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص: 56]

-[المعنى العام للحديث]-

(1) نحلة: محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، 1423هـ/2002م، ص33.

(2) محمد عبد الرحمن طعمة، البعد التداولي للنسق الحوارى، قرآنكا: مجلة عالمية لبحوث القرآن، ماليزيا 2018.

(3) كاترين كيربرات- اوريكيوني، المضمّر، ترجمة: ريتا خاطر، ط1، بيروت المنظمة العربية للترجمة، 2008.

توفي والد رسول الله -ﷺ- وكانت أمه حامل، فكفله جده عبد المطلب، فلما مات الجد كان رسول الله -ﷺ- في الثامنة من عمره، فكفله عمه أبو طالب، وكان أبو طالب فقيراً، كثير العيال، لكنه عامل محمداً -ﷺ- كأعز أبنائه، بل كان يصحبه في أسفاره البعيدة، حتى تعلّم من عمه التجارة، ثم تزوّج خديجة -رضي الله عنها-، هذه هي حياة الرسول -ﷺ- قبل البعثة مختصرة.

أما بعد البعثة قام المشركون يعادون ويؤذون محمد -ﷺ-، فوقف أبو طالب يحميه ويدافع عنه، وأرسلت قريش إلى أبي طالب أن يوقف محمداً -ﷺ- عن دعوته، أو يخلي بينهم وبينه، ولكنه ساندته وشدّ من أزره، وطمأنه على استمرار حمايته بقولته الخالدة: اذهب يا ابن أخي فقل ما شئت، وادع من شئت فوالله لا أخذلك، ولا أسلمك إليهم أبداً.

ورضي أبو طالب أن تعاديه قريش، وقبّل الحصار الاقتصادي، والمقاطعة الاجتماعية في شعب بني طالب ثلاث سنين من أجل محمد -ﷺ-.

-[من المباحث العربية واللغوية]-

- (قوله: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ): معنى (حضرت الوفاة)؛ حضور علاماتها وذلك قبل النزول وإلا لما نفعه الإيمان، ويدل عليه محاورته للنبي -ﷺ- ولكفار قريش.⁽¹⁾

وفي فتح المنعم ذكر من المباحث اللغوية في قوله: (لما حضرت أبا طالب الوفاة) بتقديم المفعول به على الفاعل، والمراد من حضور الوفاة قريبها، ففيه مجاز المشاركة، أو حضور دلائلها وعلاماتها، وهو مجاز بالحذف.⁽²⁾

- و(قوله: «يَا عَمَّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»): "عم" منادى، وهو مضاف للياء المحذوفة الدالة على المتكلم، وهو منصوب بالفتحة المقدرة على الميم، وقد حذفت ياء المتكلم تخفيفاً، وفي رواية (أي عم) تعدل قول يا عمي وتحمل معنى النداء، و (كلمة) بدل منصوب، ويمكن أن تكون منصوبة على الاختصاص (ولك) أي لفضلك وخيرك⁽³⁾، ويمكن أن تكون منصوبة على البذل؛ لأنها بدلاً من لا إله إلا الله، ويجوز رفعها على إضمار المبتدأ. وأشهد: مجزوم على جواب الأمر، بمعنى إن قلت الكلمة شهدت لك بها. وهذا ترغيب لأبي طالب وحرص على نجاته، ولكن يأبى الله إلا ما يشاء وله الحكمة.

(1) فتح الباري لابن حجر، مرجع سابق، (13/ 294).

(2) فتح المنعم، مرجع سابق، (1/ 89).

(3) شمس الدين الكرمانى: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد (المتوفى: 786هـ)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ط2، 1401م/ 1981م.

- (أشهد لك بها) الجملة صفة وهي في موضع الرفع على النعتية لـ"كلمة"، وكذلك يحتمل أن تكون منصوبة، وفي رواية "أحاج لك بها عند الله تعالى".

استلزام حوار:

الحديث الشريف:

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ - قَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ عُثْمَانُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَمَرَرْنَا بِصَبْيَانٍ فِيهِمَا ابْنُ صَيَّادٍ فَقَرَّ الصَّبْيَانُ وَجَلَسَ ابْنُ صَيَّادٍ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - كَرِهَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « تَرَبَّتْ يَدَاكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ». فَقَالَ: لَا. بَلْ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - ﷺ - ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَقْتُلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَرَى فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ»⁽¹⁾.

- [المعنى العام للحديث]-

مرّ النبي - ﷺ - هو وأصحابه - ﷺ - حول أولاد يلعبون ومعه ابن صياد، وكان في سنّهم، ففر الأولاد جميعاً إلا ابن صياد بقي ثابتاً في مكانه، وكأنه لا يأبه ولا يهاب، فكره النبي - ﷺ - ذلك وظهر ذلك في قوله - ﷺ -: (تَرَبَّتْ يَدَاكَ)، ثم قال: (أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟)، فقال ابن صياد: (لا، بل تشهد أنني رسول الله)، فقال عمر بن الخطاب - ﷺ -: (ذرنني، يا رسول الله حتى أقتله)، أي: دعني أقتله؛ لأنه يستحقّ القتل لكفره وادّعاء النبوة، فقال رسول الله - ﷺ -: «إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَرَى» أي: تعتقد أنه الدجال الذي يفتن الناس، «فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ»؛ لأن الذي يقتله هو عيسى عليه السلام، والله تعالى أعلم.⁽²⁾

- [من المباحث العربية واللغوية]-

- (فر الصبيان وبقي ابن صياد، وكره السؤل - ﷺ - ذلك منه): الفرار من الهيبة التي شعر بها الصبيان هيبة من رسول الله - ﷺ - أما ابن صياد فأظهر عدم اكتراثه وبقي مكانه، وهذه أولى علامات رفضه للنبي - ﷺ -، ولهذا ظهر كره هذا الموقف على رسول الله - ﷺ - فقال: «تبت يداك».

(1) صحيح مسلم، "باب ذكر ابن صياد"، (189/8).

(2) الاثيوبي، البحر المحيط الثجاج، سبق ذكره، (474/44).

- «تربت يدك»: أي افتقرت في كل شيء لم فعلت ما فعلت، وهذه كلمة جارية على لسان العرب ويقصدون بها التعجب من فعل شخص أو رده، وتعني لصقت يدك بالتراب من الفقر، وأترب إذا استغنى، والعرب لا يريدون بها الدعاء، أو وقوع الأمر به، وقال بعضهم هو دعاء على الحقيقة. (1)

- (أشهد أني رسول الله فقال: لا، بل تشهد أني رسول الله) وفي رواية "أشهد أنك رسول الأميين"

"وقد استخدم ابن صياد (بل) وهي حرف إضراب. وفيه حالان: الأول أن يأتي بعده جملة، والثاني أن يأتي بعده مفرد، فإن أتى بعده جملة فهو إضراباً عما قبلها، وتكون إما على جهة الإبطال، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كِرَهُونَ﴾ [المؤمنون: 70] وهي في هذه الآية حرف عطف وإضراب انتقالي وفيه إبطال. وتأتي (بل) على جهة الترك للانتقال من غير إبطال كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا...﴾ [المؤمنون: 63]، وفي هذه الآية "إِضْرَابُ انْتِقَالٍ إِلَى مَا هُوَ أَغْرَبُ مِمَّا سَبَقَ وَهُوَ وَصْفُ غَمَرَةٍ أُخْرَى انْعَمَسَ فِيهَا الْمُشْرِكُونَ فَهُمْ فِي غَمَرَةٍ غَمَرَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَبْعَدْنَهَا عَنْ أَنْ تَتَخَلَّقَ بِخُلُقِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ كَيْفَ وَأَعْمَالُهُمْ عَلَى الضِّدِّ مِنْ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ تَنَاسِبُ كُفْرُهُمْ، فَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ." (2)

فإذا كان الواقع بعد (بل) جملة فهي للتنبيه على انتهاء غرض، واستئناف غيره" (3)،

- وقوله: (أشهد أنك رسول الأميين): فيه إشارة إلى أن اليهود كانوا مقرين ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم ابن صياد. وقد حادوا عنه لأنهم ادعوا أن بعثته مخصوصة بالعرب دون سواهم، وهذه الحجة بها فساد بين وواضح، لأن إقرارهم ببعثته ونبوته يجب أن يتضمن إقرارهم بعدم كذبه على الله واستحالة ذلك من النبي، فإذا قال أنه مرسل من ربه للعرب وغيرهم ورسالته جامعة للعرب وغيرهم ثبت صدقه في ذلك، ووجب عليهم تصديقه.

(1) محمد الأمين، الكوكب الوهاج، سبق ذكره، (26 / 205).

(2) ابن عاشور: محمد الطاهر، [التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»]، الدار التونسية للنشر - تونس 1984 هـ.

(3) المرادي: ابن أم قاسم، الجني الداني في حروف المعاني، ص 39.

المطلب الثاني: التأثير بالقول من خلال رفض الطلب في الفعل:

أسلوب النفي والقسم:

الحديث الشريف:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَتَى بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ فَقَالَ لِلْغُلَامِ « أَتَأْتُنِي لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ ». فَقَالَ الْغُلَامُ: (لَا، وَاللَّهِ لَا أُؤْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا). قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي يَدِهِ⁽¹⁾.

-[المعنى العام للحديث]-

يظهر في هذا الحديث -حديث الشُّرب- آداب إسلامية جمّة، ومنها:

- أولاً: يبدأ الساقى في إدارة الشراب بالأكبر سناً أو مقاماً كما في هذا الحديث؛ لأنه أُعْطِيَ الرسول -ﷺ- أولاً.
- ثانياً: من آداب الشراب أن تكون إدارته من يمين أول من يشرب إن كان إناء واحداً.
- ثالثاً: استئذان من يأتي دوره بأن يُعْطَى غيره قبله -لكبر سنه أو شرفه- حتى لو كان الدور على الصغير، وهذا يدل على الاحترام وأنه من الأخلاق الإسلامية المطلوبة.

ظهر في هذا الحديث الشريف أن سنة الشرب العامة تقديم الأيمن في كل موطن، وتقديم الذي على اليمين ليس لمعنى فيه، بل لمكانة جهة اليمين، وهي مفضّلة على جهة اليسار. ويؤخذ من ذلك أن الترجيح إنما هو لجهة اليمين أياً كانت مكانته الاجتماعية. حتى أن هذه الصوة وتقديم الأيمن يدخل فيها العموم وإن كان كبير السن، فإن جلس الرئيس وحوله عن اليمين وعن الشمال قوم، وقدم له الشراب فإنه يُقَدَّم الصغير على الكبير والفاضل على المفضول⁽²⁾.

-[من المباحث العربية واللغوية]-

- قَوْلُهُ -ﷺ-: « أَتَأْتُنِي لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ ».

(1) صحيح مسلم، "باب استحباب إدارة الماء واللبن" (113/6).

(2) يُنظر: الاثيوبي، البحر المحيط النجاج، سبق ذكره، (197/34).

ظاهر استئذان الرسول -ﷺ- أنه لو أذن له لأعطى الكبار الجالسين عن يساره، ويؤخذ من ذلك جواز الايثار، وليس بواجب. ويظهر حكم آخر أنه لا يجوز التبرع في العبادات وإنما يجوز في غيرها. وتظهر حقيقة الايثار وهي إعطاء ما استحقه لغيره.

- و(فتله) بفتح الفاء والتاء وتشديد اللام: أي وضعه. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَصَعَهُ بِعُنْفٍ. وَأَصْلُهُ مِنَ الرَّمْيِ عَلَى التَّلِّ، وَهُوَ الْمَكَانُ الْعَالِي الْمُرْتَفِعُ، ثُمَّ أُسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُرْمَى بِهِ، وَفِي كُلِّ إِقْلَاءٍ بِلا رَغْبَةٍ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ التَّلْتَلِ بِلام سَاكِنَةٍ بَيْنَ الْمُتَنَائِنِ الْمُفْتُوحَتَيْنِ وَآخِرِهِ لَام، وَهُوَ الْعُنُقُ، وَمِنْهُ ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصافات: 103]. بمعنى أنه صرعه أي ألقى عنقي، وتفسير المكان المرتفع أليق بمعنى الحديث. وقد عارض بعض المفسرين تقييد الخطابي بالعنف. والذي يظهر أن الرسول -ﷺ- أعطى الغلام بعنف وذلك لشيء سيأتي لاحقاً.

وقد أقسم الغلام أن لا يعطي أحدا يشرب قبله، والغرض من القسم في العربية تأكيد الكلام وتقويته، وهو نوعان:

أ- ظاهر أو صريح: ويستدل عليه بوجود حرف القسم، نحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: 7].

أو بفعل القسم، كقول الشاعر:

وأقسم لا أنساك ما ذرّ شارق *** وما هبّ ألّ في ملمعة قفر

وربما اجتمعا معاً كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ لِّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: 109]. أو يستدل عليه بلفظ من ألفاظ القسم نحو "يمين الله" و"أيم الله".

ب- القسم الآخر: مضمّر أو غير صريح: وتدل عليه اللام نحو قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...﴾ [آل عمران: 186]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ...﴾ [آل عمران: 152]⁽¹⁾.

الشاهد: في قوله: (لَا. وَاللَّهِ! لَا أُؤْتِرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا).

يظهر في كلام الغلام أسلوب النفي أولاً (لا)، ثم القسم (والله)، وتلاه التبرير مبدوء بالنفي في بداية رد المخاطب كان النفي باستعمال (لا النافية)، وتحمل معنى الاستدراك المتمثل بالقسم معذرة

(1) السامرائي: فاضل صالح، معاني النحو، عمان- دار الفكر، الطبعة الخامسة الشرعية 2011م، (4/138).

من رسول الله -ﷺ- لأنه عليه الصلاة والسلام لا يُعصى، ولكنه استدرك بالقسم وكرر النفي وقرنه بالسبب كاعتذار، والله أعلم.

الخاتمة:

اعتمد البحث في سطره على التأثير بالقول المتمثل في رد الفعل، سواء ظهر ذلك من مستقبلي الحديث الشريف، أو من المتكلم نفسه عليه الصلاة والسلام، وهذا البحث لا يدعي الكمال؛ لأنه عمل بشري، ولا يخلو عمل البشر من خطأ أو نقص، ولكن يمكن أن ينتهي بجملة من النتائج التي تحمل في طياتها أفكار تتفق منها بحوث ودراسات -إن شاء الله- وكان من أهم النتائج التي توصل إليها البحث مكانة التأثير بالقول في الفهم، وأثره في رسوخ وثبات الأفعال الكلامية، بل وامتدادها لمدى أطول من خلال التأثير والتأثر في العملية الاتصالية.

ولا يتسع المجال لذكر كل النتائج الذي أظهرها البحث؛ لكثرتها كثرة مسائل المباحث الأدائية والتركيبية التي قامت عليها الدراسة، ونلخص أبرزها بالآتي:

1- الأفعال اللغوية عائلة لا تنفصل بعضها عن البعض، منذ القول اللفظي الذي يتركب من أصوات، وحتى التأثير بالقول الذي يتأثر بهذه الأصوات.

2- أن المستوى الصوتي بداية لكل علم ويعتبر هو (الدال)؛ بدليل أن الأفعال اللغوية تبدأ بفعل القول؛ بمعنى أنها تبدأ بالفعل اللفظي المتمثل بالأصوات.

3- أن التأثير بالقول الناتج عن الحوار، والمركب من أصوات يعين على تحديث ثري للتوقعات إن كان الموقف حاضراً، أو على استرجاع دائم بالنسبة لتأثير ما يُقال إن كان الحوار مشتركاً في الماضي.

4- في الحوار يحدث التأثير بالقول من خلال وضوح مباشر لخطط المتحادثين وأغراضهم، وتصبح هذه الخطط والأغراض راسخة الجذور في المعلومات السابقة.

5- الاستفهام يحتل المرتبة الأولى في نصوص الحديث الشريف، رغم تعدد المصطلحات والألفاظ، بل والأساليب أيضاً، لكنها تلتقي في النهاية في أرضية الطلب للتفسير والإيضاح.

6- القالب الاجتماعي يُعد أساس كل عملية لغوية؛ لأنه يُبلّغ عن طريق القالب اللغوي بداية، ويحفّز القالب المنطقي المتزود من القالب المعرفي لدى المتخاطبين، ومن خلاله يكون التواصل اللغوي، وهناك تواصل غير لغوي تمثله الإشارات والحركات الجسمية.

7- يُلاحظ أن الرفض عند استقبال كلام الرسول -ﷺ- قليل جداً مقارنة بالقبول، حتى لو كان بعد

مناقشة أو اعتراض.

8- إن الفعل التأثري مرتبط ومؤثر في باقي الأفعال الكلامية؛ لأنه يعطي القوة للفعل الإنجازي إذا تحقق، كما أنه يعطي الاستمرارية لفعل القول. لذا يوصى أن يُلتفت للفعل التأثري، وأن تُعاد دراسته لاستنباط أحكامه وفرائده.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل - تعريب: د. سيف الدين دفعوس ود. محمد الشيباني - المنظمة العربية للترجمة - ط1، 2003م.
- 2- الأرمي: محمد الأمين بن عبد الله، الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج - دار المنهاج ودار طوق النجاة، لبنان، بيروت - ط1430هـ/2009م.
- 3- الإثيوبي: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الولوي، البحر المحيط الشجاع في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (1426 - 1436 هـ).
- 4- الإثيوبي: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الولوي، شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، دار المعراج الدولية للنشر [ج 1 - 5]، دار آل بروم للنشر والتوزيع [ج 6 - 40]، ط1، ج (13 - 40) / 1424 هـ - 2003 م.
- 5- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، الطبعة السادسة 1988م، عالم الكتب، القاهرة.
- 6- أدوري: العياشي أدوري: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، دار الأمان الرباط، ط1، 2011/1432.
- 7- الأنباري: عبد الرحمن بن أبي الوفاء، أسرار العربية، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل - بيروت، ط1، 1995.
- 8- ابن الأثير: أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلية، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.
- 9- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991م.

- 10- إسماعيلي: علوي حافظ، تساؤلات التداولية و تحليل الخطاب- ط1،، 2016.
- 11- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991م.
- 12- البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1412هـ/1992م.
- 13- أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق/ د.عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط2، 1419هـ/1998م.
- 14- بوقرة: نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006م.
- 15- تعزاوي: يوسف تعزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديثة، ط1، 2013.
- 16- توماس لوكمان، علم اجتماع اللغة، تعريب: د.أبو بكر أحمد باقادر، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1407هـ/1987م.
- 17- الثعالبي: أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: سليمان سليم البواب، دار الحكمة - سورية -دمشق، ط2، 140هـ/1989م.
- 18- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل 1410 هـ -1990م.
- 19- جاد الكريم: عبد الله، الفكر التداولي في الحديث النبوي-طبعة دار النابغة- ط1، 1439هـ/2018م.
- 20- جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، بإشراف الدكتور عز الدين المجذوب، مراجعة خالد ميلاد، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010.
- 21- ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1989م.
- 22- جوتس هند لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي- تعريب: سعيد حسن بحيري - زهراء الشرق جمهورية مصر العربية، ط1، 1433هـ/2012م.

- 23- جورج يول: التداولية، ترجمة: د.قصي العتّابي، الدار العبية للعلوم ناشرون، ط1، 1431هـ/2010.
- 24- جون ر.سيرل، الأعمال اللغوية؛ بحث في فلسفة اللغة - تعريب: أميرة غنيم- مراجعة د.محمد الشيباني-نشر دار سيانترال_المركز الوطني للترجمة تونس 2015م.
- 25- جيلالي دالاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- 26- حمودي: ليندة، التداولية والسيمولوجيا -دراسة في البعد الإنجازي والتأثيري للعلامة غير اللغوية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد9، عدد: 1، السنة: 2020.
- 27- ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، فتح الباري.
- 28- ابن حيان: أبو حيان محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1998م.
- 29- خضر: السيد علي، الحوار في السيرة النبوية- رابطة العالم الإسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرتة- كلية التربية-جامعة المنصورة.
- 30- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، طبعة جديدة منقحة 1425هـ/2005م
- 31- الفراهيدي: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.
- 32- ريبورت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1418هـ/1998م.
- 33- الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق محمد محمد الطناحي، راجعه محمد هارون- التراث العربي-الكويت 1413هـ/ 1993م.
- 34- زبيله كريم، اللغة والفعل الكلامي والاتصال "مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين" - تعريب: أ.د. سعيد حسن بحيري - مكتبة زهراء الشرق- جمهورية مصر العربية

القاهرة - ط1، 2011م.

- 35- الزمخشري: أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1385هـ/1965م.
- 36- السامرائي: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، عمان- دار الفكر، الطبعة الخامسة الشرعية 1432هـ/2011م.
- 37- ابن السراج: أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي: الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة 1988.
- 38- سيويو: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية بيروت، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة 1408هـ/1988م.
- 39- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري- دار ابن عفان للنشر-1416هـ/1996م.
- 40- الشاوش: محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، ط1، 1421هـ/2001، المؤسسة العربية، تونس.
- 41- الشنقيطي: محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ/1983م.
- 42- صحراوي: مسعود التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة بيروت، ط1، 2005م.
- 43- صفي الدين: ديوان ابن علوان، صفي الدين، مرجع ترجمته الاعلام للزركلي. (665 هـ = 1267 م).
- 44- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الطبعة 1992.
- 45- صولة: الدكتور عبدالله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات - ط1، 2011م.
- 46- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- 47- ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م.

- 48- عبد الباقي: محمد فؤاد، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الجيل، لبنان، بيروت 1407هـ/1986م.
- 49- الفهري: عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، الشكل والتأويل، الدار البيضاء، الرباط 1982-1986م.
- 50- عبد الرحيم: منتصر أمين، تداولية الاقتباس دراسة في الحركية التواصلية للاستشهاد - عمان دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ط1، 1434هـ/2013م.
- 51- المجدوب، عز الدين، المدخل الثالث في علم اللسانيات، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية.
- 52- العسقلاني، ابن حجر، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق: ودراسة لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب.
- 53- فجّال: أنس بن محمود، الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، نادي الأحساء الأدبي، الأحساء، 1434هـ. ط1، 1434هـ/2013م.
- 54- فرانسوا أرمينغو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، 1986م.
- 55- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان
- 56- قباوة: فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، دار الفكر، دمشق، بيروت، الطبعة 1422هـ/2001م.
- 57- قدور: خلوفي، مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني (سورة الكهف نموذجاً)- المشرف: أ. الدكتور بن عيسى عبد الحليم- أطروحة دكتوراه- جامعة وهران الجزائر- 1435هـ/2014م.
- 58- القرطبي: أبو العباس، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، محيي الدين ديب ميسو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996م
- 59- القسطلاني، أبو العباس، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ.
- 60- الكرمانلي: محمد بن يوسف، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث

العربي، بيروت-لبنان، طبعة ثانية: 1401هـ - 1981م.

- 61- ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طبعة، ط2، 1420هـ/1999م.
- 62- لاشين: موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 1423 هـ - 2002 م.
- 63- مدقن: هاجر مدقن: آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي، الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب 2011.
- 64- المرشد: أفراح بنت علي، مظاهر الاستلزام الخطابي في الكتاب وشروحه "دراسة نحوية تداولية"، رسالة دكتوراه بإشراف أ.د. مختار لزعر، جامعة القصيم، 1437هـ/2015م.
- 65- عكاشة: محمود تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، الناشر المنهل، 1430هـ/2013م.
- 66- محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: 1353هـ)، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد بدر عالم، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م.
- 67- مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم، القشيري النسب، صحيح مسلم من كتب المكتبة الشاملة.
- 68- النووي: محيي الدين المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيجا، ط2، 1415/1995.
- 69- ابن هشام: جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، 1411/1991.
- 70- هادي نهر، الدراسات الاجتماعية عند العرب، ط1، 1998م، دار الأمل - الأردن.
- 71- هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تعريب: د.محمود عياد، عالم الكتب القاهرة مصر، ط2، 1990م.